

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين ﷻ ورسوله يعني الذين هم في حد والشرع في حد أي مجانبون للحق مشاقون له هم في ناحية والهدى في ناحية { أولئك في الأذلين } أي في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخره { كتب ا ﷻ لأغلبن أنا ورسلي } أي قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بأن النصره له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخره { إن العاقبة للمتقين } كما قال تعالى : { إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار } وقال ههنا : { كتب ا ﷻ لأغلبن أنا ورسلي إن ا ﷻ قوي عزيز } أي كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبهرم أن العاقبة والنصره للمؤمنين في الدنيا والآخره ثم قال تعالى : { لا تجد قوما يؤمنون با ﷻ واليوم الآخر يوادون من حاد ا ﷻ ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم } أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى : { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من ا ﷻ في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم ا ﷻ نفسه { الاية .

وقال ا ﷻ تعالى : { قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقتترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من ا ﷻ ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي ا ﷻ بأمره و ا ﷻ لا يهدي القوم الفاسقين } وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره : أنزلت هذه الاية { لا تجد قوما يؤمنون با ﷻ واليوم الآخر } إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد ا ﷻ بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب ه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة ههم : ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته وقيل في قوله تعالى : { ولو كانوا آباءهم } نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر { أو أبناءهم } في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن { أو إخوانهم } في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ { أو عشيرتهم } في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ ف ا ﷻ أعلم .

قلت : ومن هذا القبيل حين استشار رسول ا ﷻ المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل ا ﷻ تعالى أن يهديهم وقال عمر : لا رأى ما أرى يا رسول ا ﷻ هل تمكنتني من فلان قريب لعمر فأقتله وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم ا ﷻ أنه ليست في قلوبنا مادة للمشركين القصة

بكمالها وقوله تعالى : { أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه } أي من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته قال السدي : { كتب في قلوبهم الإيمان } جعل في قلوبهم الإيمان وقال ابن عباس { وأيدهم بروح منه } أي قواهم .

وقوله تعالى : { ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها هم ورضوا عنه } كل هذا تقدم تفسيره غير مرة وفي قوله تعالى : { هم ورضوا عنه } سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم وقوله تعالى : { أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون } أي هؤلاء حزب الله أي عباد الله وأهل كرامته وقوله تعالى : { ألا إن حزب الله هم المفلحون } تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال : { ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون } .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن حميد الواسطي حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سماه فقال : هو عبد الحميد بن سليمان - انقطع من كتابي - عن الذيال بن عباد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري : اعلم أن الجاه جاهان جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يدعوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة] فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله : { أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون } وقال نعيم بن حماد : حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدا ولا نعمة فإنني وجدت فيما أوحيته إلي { لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله }] قال سفيان : يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان رواه أبو أحمد العسكري آخر تفسير سورة المجادلة والله الحمد والمنة